عتبات النص في رواية "اللاز" للطاهر وطار
الدلالات والأبعاد الثورية

Text Thresholds in Tahar's Ouettar Novel "L'As":
Revolutionary Significance and Dimensions

طالب دكتوراه/ عبدالعالي أحمدالصالح
إشراف الأستاذ الدكتور: يوسف العايب

مؤسسة الانتماء: - جامعة الشهيد حمَّة لخضر-الوادي(الجزائر)
abdelaliahmedsalah@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/25 تاريخ القبول: 2020/05/26 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص:

تمثل الثورة التحريرية الجزائرية مرجعية ثرية، استقى منها جل الروائيين الجزائريين مادتهم في تأليف رواياتهم التي تناولت جوانب من أحداث الثورة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و سنحاول من خلال هذه الدراسة إماطة اللثام عن تجليات الثورة و تمثلاتها التي أسقطها الروائي الطاهر وطار في ثنايا روايته "اللاز"ومحاولة استقطاب أبعادها الجمالية عبر أسداف الدلالات الرمزية للعتبات والنصوص الموازية لهذه الرواية.

الكلمات المفتاحية: عتبات، ثورة، رمزية، مرجعية، اللاز.

Abstract

The Algerian liberation revolution represents a diversified reference, from which the vast majority of Algerian novelists and writers drew their material in writing their pieces of writings that dealt with aspects of the revolution events directly or indirectly. Throughout this study, we attempt to unveil the manifestations of the revolution and its representations that the pure novelist brought down and flew into the folds of his novel "L'As "and also seeking to deduce its aesthetic dimensions through the symbolic connotations of thresholds and texts parallel to this novel.

Key words: thresholds, revolution, symbolism, reference, L'As

توطئة:

حظي مصطلح "العتبات" باهتمام النقاد والدارسين رغم حداثته، وأفردوا له دراسات متعددة، تتحدث عن مفهومه، وأهميته في عمليتي الإبداع والتلقي، وعن عناصره التي تؤدي وظائفها بأشكال متصلة ومنفصلة، ولا يمكن فهم النص بعيدا عن فهم العتبات وعناصرها البنائية، فباتت قراءة المتن مشروطة بقراءة هذه العناصر، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها، كذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم - من بين ما تقوم به - بدور الوشاية والبوح، ومن شأن هده الوظيفة أن تساعد في قراءة سليمة للكتاب أو النص[1].

وكثيرة هي عتبات النص الروائي، لذلك سنتوقف في هذه الدراسة عند ما سمّاه "جينيت" بالمناص النشري/ الافتتاحي[2]، وسنقصر حديثنا في هذه الدراسة على جملة من العتبات أو بعض ما يحيط بالنص من أيقونات بوصفها ملمحا أسلوبيا وجماليا في رواية "اللاز" للطاهر وطار، تجلي جزءا من غموض النص،

وتعتبر رواية "اللاز" بمثابة أول تجربة روائية للطاهر وطار، عالج فيها الخلافات والإشكالات التي صاحبت مسيرة الثورة الجزائرية، كما طرح الكاتب مشكل الاستعمار وما فرضه من نظم على البلاد التي احتلها. وهكذا أخرج لنا هذه الملحمة الروائية التي أعادت النّظر في التاريخ بشكل علمي صحيح كما يرى الطاهر وطار، حيث وضح من خلالها المهمة الإيديولوجية التي يولِّدها الفن الروائي بطريقة رمزية. من هنا سنحاول في هذه الدراسة أن نبين الصورة التي رسمها لنا الطاهر وطار للثورة التحريرية.انطلاقا من عتبات هذه الرواية كالواجهة الأمامية للغلاف وما تحويه من صور وأشكال ورسومات وألوان فالعنوان و الإهداء والتقديم..

1- العنوان:

حظي العنوان باهتمام ملحوظ من قبل الدارسين والمهتمين بالأدب والنقد ومختلف المناهج، حيث أصبح موضوعا خصبا لمختلف التخصصات وفي مقدمتها اللسانيات والسيميائيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وغيرهم.

يمثل اختيار المبدع لعنوان عمله عملا غير اعتباطي، ذلك أن المؤلف مسئول عن هذا الاختيار، فإن كان المبدع يجهل وظائف العنوان، فإنه لا يجهل أبدا أن اختياره للعنوان ينطلق من "التفاعل الحاصل بين وعيه كباث ومرسل، وبين متن عمله الذي بانتهاء آخر سطر فيه يتشكل عنوانه في ذهن صانعه"[3]. وهو ما يشكل في النهاية العلاقة بين المبدع وإبداعه، وإن كان المبدع لا يبدع لنفسه بل لمتلق متخصص، فإن تلك العلاقة المذكورة تنمو وتتحول إلى علاقة بين الإبداع وعنوانه، وبين المبدع والمتلقي.

من هنا نجد علاقة تكاملية بين العنوان والنص، فلا وجود للأول بدون الثاني والعكس صحيح، إذ يتم استنباط دلالات العنوان انطلاقا من النص، باعتبار الأول بنية متضمنة في الثاني، وهو ما يؤكد العلاقة التفاعلية القائمة بينهما. كما يمكن بالمقابل أن تكون "دلالية العمل هي نتاج تأويل عنوانه"[4]، وذلك بدخول القارئ إلى النص من بوابة العنوان مؤوّلا له باستخدام مخزونه الثقافي والمعرفي.

عنون الروائي الطاهر وطار نصه الإبداعي بكلمة "اللاز"، وقد وردت مشتقات كلمة "اللاز" في لسان العرب وفق المعاني الآتية:

"لز الشئ بالشئ: ألزمه إياه .اللزز: الشدة، ولزاز البيت: الخشبة التي يُلَزُّ بها الباب. و رجل ملز:شديد الخصومة"[5].

كما نجد في اللغة الفرنسية لفظا فرنسيا يقابل لفظة "اللاز" وهو (L'as)، ويعني هذا اللفظ في المعاجم الفرنسية "الشخص الذي يمتاز بتفوقه في مجال ما، أو الشخص الممزق الثياب أو من كان زري الهيئة".[6]

و يحمل مصطلح "اللاز" كدال مستقل وكبنية مستقلة مدلولات عديدة، تنكشف من خلال الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه هذا العنوان. ولم يكن وطار أول من استخدم كلمة "اللاز"، وإن كان في استخدامه هذا بعض الخصوصية، فكلمة "اللاز" تنتمي إلى مجالات معرفية وثقافية عديدة: اجتماعية وتاريخية وقاموسية تُضفي عليه معاني خاصة، قد تشترك في بعضها هذه المجالات والحقول.

تتوفر لفظة "اللاز" من الناحية الاجتماعية على دلالات وطاقات تعبيرية و إشارية، حيث تضرب في أعماق اللغة الشعبية، فهي كلمة شعبية منتشرة الاستعمال، فـ "اللاز" في القديم كان يطلق على الجزء الأدنى من العملة النقدية، والآن يطلق على العدد المفرد في أوراق اللعب. بينما هو في الحجر يمثل أدنى رقم، الرقم الأول في العدد، مجاورا للبياض، يمثل في (البيلوط) الرقم

الأعلى ... الوحيد في البيلوط الذي يحتفظ بقيمته مهما تغير اللون المنتخب. المعنى المجازي لـ"اللاز" هو البطل في غير لغة قومه، أما عندهم، فإنه اللقيط أو هو كل أمر يتشاءم منه" [7].

ويضيف "عبدالحميد بورايو" في هذا الصدد قائلا: "اللاز هي كلمة شعبية منتشرة الاستعمال في الأوساط الشعبية، ويجد القارئ ألفة عجيبة مع هذا الشخص منذ بداية الرواية وكأنه يعرفه، والواقع أن هذه الشخصية لن نعدم وجودها في الأحياء الشعبية في كثير من المدن والقرى الجزائرية، سواء بهذا الاسم بالذات أو باسم آخر مشابه" [8].

عنون الطاهر وطار روايته بـ"اللاز"، وهذا العنوان هو اسم لإحدى شخصيات الرواية، ويعد من الأسماء المتواترة على صفحات العالم الروائي. وكان لهذا الاسم ولحامله دوره في نمو الأحداث وتطورها، وفي تعبير الروائي عن رؤاه ومعرفته لصفحات التاريخ الجزائري إبان فترة الاحتلال الفرنسي للوطن الجزائري.

فكلمة "اللاز" في الرواية هي اسم لشخص متمرد عن القيم والأخلاق والقانون فهي لفظة "تحمل التفرد والقوة، والمغامرة، فيستطيع الموصوف بها أن ينتصر على الكل ماعداه تماما مثل اللاز في الورق الذي يفوق كل الأوراق الأخرى" [9].

ونجد مدلول "اللاز" عند الضابط الفرنسي مختلفا، حيث يقول: "المعنى المجازي لـ"اللاز" هو البطل في غير لغة قومه، أما عندهم، فإنه اللقيط أو هو كل أمر يتشاءم منه" [10] ، فاللاز يحمل عدة دلالات رمزية تختلف باختلاف المجتمع، واللغة والإيديولوجية، وإذا نظرنا إلى "اللاز" من زاوية المتخيل، فإننا نجده يمثل الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار وأثناء الثورة التحريرية ويتمثل ذلك في قول الضابط: " آه، أيها القذر، إنك لا تمثل شيئا، إنك لا تمثل غير هذا الشعب اللقيط، غير هذه القضية المفتعلة التي انفلتت من دبر التاريخ" [11]. وذلك لأن "اللاز" ذاته يمثل أنموذجا لكثير من الشباب الجزائري إبان الثورة وقبلها، ويمثل نموذجا للشخص وللمعاناة، وللإجهاد والفقر، والتشرد والتمرد من جهة، والاستعداد لمواجهة المستعمر وتخريب خططه والتحضير للثورة من جهة أخرى "فاللاز والشعب شيء واحد" [12]

ونجد "اللاز" في الرواية " قويا صلبا، عنيدا مع كل الناس وحتى مع المستعمر وأمه "[13]، وبهذا يمتلك "اللاز" عدة قواسم مشتركة بينه وبين الشعب، " والتي تتمحور حول الصلابة في الموقف، عدم التهاون في المصير، والثقة في النفس، ثم التمسك بالمبادئ[...]، وهي نفس العناصر التي ميزت ثورتنا التحريرية، وأضفت على "اللاز" نوعا من التقديس والتعظيم من جهة، وشيئا من الخوف والرهبة من جهة أخرى" [14] ، وقد استطاع الروائي عن طريق المتخيل أن يمتن

العلاقة بيــن "اللاز"والشعب، فهما يتقاطعان في عدة نقاط مهمة منها: أنهما غير محددي النسب تحــديدا دقيقــا، "فالشعب الجزائري فيه العنصر البربري، والعنصر العربي، والعنصر التركي وكذلك البيزنطي. لكنه في الأخير ينتمي عن طريق الحتمية الحضارية إلى العنصر العربي، في حين نجد أن "اللاز" أيضا مجهول الأب، حتى ولو حاول الروائي أن يوهمنا ببنوته لزيدان، لأن "اللاز" -حسب بنائه في الرواية- أعم وأشمل من أن ينتسب لأب معين كذلك الثورة الجزائرية لا يمكن حصرها في تيار محدد"[15].

والملاحظ أن عنوان الرواية جاء كلمة مفردة، وتعني البطل ، ولكنها مــن زاوية المتخيل، تمثل الشعــب الجزائري المتمرد على الأوضاع السياسية، وهذا "اللاز" هو ثمرة معاناة هذا الشعــب، خلال فتــرة الاستعمار، فهو "يقع في أسفل السلم الاجتماعي، يرفض الخضــوع للقوانين الاجتماعية والخلفيــة السائدة"[16] ، فقام بالثورة تعبيرا لرفضه لتلك الحياة التي كان يعيشها تحت وطأة الاستعــمار و امرته.

نستشف من هذا أن "اللاز" من الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية، لا تتوقف شعبيتها عند كونها اسماً لإحدى أوراق اللعب، وإنما يتعدى الأمر إلى وجود شخصية تمثل "اللاز" في أغلب الأحياء الشعبية، وذلك لاتّصافها بصفات اجتماعية معينة، كالتدني الاجتماعي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، بالإضافة إلى صفات أخرى كالتّمرد والرّفض.

وإذا تتبعنا كلمة "اللاز" في الرواية أيضا نجد أنها تحمل معاني "الثورة"، حيث نجد هذه المعاني والمدلولات من خلال الرواية، فقد جعل المؤلف "اللاز" مرادفا للثورة كما قال في الرواية:"بل لأنك الثورة" [17]. ولذلك جعله يجن ويفقد عقله عندما خاب أمله في الثورة، بسبب ما اكتشف فيها من تناقضات، حين قتل والده "زيدان". ونجد أن الداعي إلى هذا التطابق بين "اللاز والثورة" ما ميزهما من صلابة وتحد، فاللاز عرف بصلابته وشدته، تماما كما تميزت الثورة بالصلابة والتحدي الكبيرين من جهة. وإذا ربطنا بين كره أهل القرية لـ"اللاز" بسبب تعنته وجبروته كما قال الشيخ الربيعي: "إن شاء الله هذه الضربة الأخيرة، تريحنا وتريح جميع خلق الله" [18]، وبين رمزيته للثورة التي تحمل الكثير من التناقضات من جهة أخرى. ويمكن أن نعتبر أهل القرية أو الشعب قد وقف موقفا رافضا لتلك التناقضات.

وبناء على ما سبق نجد علاقة وطيدة بين "اللاز" كعنوان، وبين الثورة الجزائرية والشعب الجزائري بصفة عامة، إذ يلخص العنوان مضمون الرواية وبهذا يمكن أن نقدم تلخيصا للرواية انطلاقا من التطابق الحاصل بين "اللاز" كعنوان وشخصية، وبين رؤية الروائي. إن

الروائي "وطار" أراد أن يؤكد بأن الشعب الجزائري تجمعه الوحدة والتضامن على الرغم من تعدد أصوله، وذلك من أجل الصمود في مواجهة العدو الفرنسي، فهذا الشعب على الرغم من فقره وشقائه وأمّيته، إلا أنه شعب متحد، مغامر، متمرد، قام بثورته واتّحد على الرغم من التناقضات، والصراعات الإيديولوجية بين صفوفه.

ونلمس صورة أخرى لهذه العلاقة -اللاز والثورة- بصورة رمزية في تصوير الخلافات والصراعات التي نشبت بين المناضلين من أجل الزعامة والحكم، وصلت إلى درجة الذبح والقتل، ومن بين معاني "اللاز" الرقم واحد- كما أسلفنا-، ويرمز به إلى الحزب الواحد(جبهة التحرير الوطني)، وهو بهذا المعنى يحيلنا إلى الصراع القائم بين الأحزاب السياسية أثناء الثورة على الزعامة أو الرقم واحد. ومن هنا نجد أن عتبة العنوان كانت أول خيط يجعل المتلقي مستعدا لدخول عوالم هذا المتن الروائي..

الغلاف:

الغلاف أيقونة إعلامية، وكوّة نصية، تسلط الضوء على ما يموج بداخل المتن الروائي، فهو أول ما تقع عليه العين وآخر ما يبقى في الذاكرة، بعد الانتهاء من قراءة العمل الأدبي، لذلك يتحرى المبدع الدقة في اختيار الغلاف، جاعلا منه عتبة الدخول إلى النص، لأن الغلاف تربطه علاقة مجازية بمتن العمل الأدبي، والمتلقي إذا تمكن من فهم مكونات الغلاف، وفك شفراته، استطاع الدخول إلى فضاء المتن الروائي[19]،

إن المتأمل في واجهة غلاف رواية " اللاز" للطاهر وطار، يلاحظ من الوهلة الأولى أنها عبارة عن مجموعة من الصور والتشكيلات والرسومات التي لها علاقة شديدة مع مضمون الرواية،

فصورة الغلاف بألوانها " دالة وبكثافة، لكنها كماهية بصرية تستدعي اقترانها برسالة لسانية تعضد دلالتها"[20]، واستعمال الألوان في رسم اللوحات أمر بديهي حيث أن استعمالها " يندرج ضمن **التعامل الجمالي مع مظاهر الحياة** وخواطرها، ومن غير الممكن أن يكتب نصا أدبيا ولا يتحدث عن الألوان ولا يصطنعها ولا يسخرها في عملية البث أو التبليغ من حيث هي أدوات لتجميل نسجه"[21].

وقد تضمنت صورة غلاف رواية " اللاز" - في طبعة 2007 بمناسبة "الجزائر عاصمة الثقافة العربية / 2006"- لوحة زيتية مليئة بدوائر تأخذ شكل بصمات تتساقط كحبات الثلج

الملونة على قمم الجبال وسفوحها، كما أنها تأخذ اتجاها آخر كأنها خطى تتصاعد من بين الجبال و الأرضين نحو السماء تاركة أثر مرورها على تلك الأماكن يوما، وبرؤية أخرى تحول هذه البصمات إلى حمم بركانية متقاذفة في عنان السماء المغبرة لتستحيل بتساقطها المتتالي جمرا متوهجا.

وإلى جانب هذا مرر الرسام ريشته راسما قمما في الفراغ متحولة إلى طريق طويل منعرج غير متناه في الجبال، و في سماء هذه الجبال تحلق الأجساد في صورة أشباح متناثرة متخذة وضعيات متعددة كالقفز و السقوط و القعود و التحوّل إلى دخان يتلاشى شيئا فشيئا في ظلام ضبابي و ديجورية مدلهمّة.

هكذا تكلم الرسام الذي غاب اسمه في غلاف الكتاب؛ وقد تكلم بألوانه و أشكاله بعد أن قرأ الرواية و عبر عن انطباعه بهذه الخطوط المنحنية و بالبصمات و الجبال ليخرج رواية مرسومة لغتها الألوان لا الكلمات.

و الجميل في اللوحات التشكيلية أنها تمنح لمشاهدها تأشيرة يدخل بها إلى عوالم خيالية متعددة قد لا يصل – أحيانا- من خلالها إلى ما يبتغيه الرسام من معنى حقيقي، لكنها تقربه من موضوعها العام.

وبذلك حاول الرسام أن يقارب النص الروائي بلوحته معبرا عن الثوار بالبصمات لأنهم صنعوا تاريخا مجيدا بالبطولات حينما اعتزلوا زينة الدنيا فجعلوا الجبال مأواهم و حب الشهادة قوتهم و الجهاد ديدنهم فضحّوا بأنفسهم ليبقوا على كل شبر اسمه الوطن ، فبعد أن ثاروا كالبركان و خرجوا إلى ميادين القتال قتل منهم الكثير؛ و هكذا قضوا شهداء فتصاعدت أرواحهم إلى السماء مخلفين وراءهم عطر الشهادة الذي تحفظه ذاكرة التاريخ في سجل الأسماء الخالدة، فبدل رسم شخوص المجاهدين رُسمت بصماتهم الدالّة عليهم و على مواقفهم.

ومن المعروف أن البصمة من الوجهة العلمية قد تبرئ صاحبها و قد تدخله السجن لأنها أداة إثبات قطعي للجريمة، ومع أن هذه التقنية لم تستعمل آنذاك -زمن الثورة- إلا أنه كان هناك ثمّة خدعة هي فزع بعض الجزائريين إلى فرنسا بدافع الإعجاب أو الخوف أو الطمع ليكشفوا عن خطط إخوانهم و أماكنهم وهذا ما أشار إليه الكاتب بـ(القومية) و جسده "بعطوش" الذي انتصر لنفسه أخيرا بعد إحساسه بدمه الجزائري الحار ليضحى ثوريا لامعا و قائدا مغوارا.

كانت قمم الجبال في الصورة هي ميدان الثورة و أما الطريق الملتوية فقد كانت الطريق الصعبة و الوحيدة التي تحفظ كرامة الجزائري؛ ولما كان الثوار فقراء فقد كان الفرنسيون يمثلون الضفة الملونة إشارة إلى الترف و الثراء الفاحش.

لكن بالتحدي و الصبر نسي الثوار – خاصة "اللاز" - بؤسهم و همومهم لما ضحوا بأنفسهم و هم يساعدون إخوانهم على الحياة الآمنة.

كما أن رسم الطريق الملتوية هو إشارة فنية وصفية للطريق الجبلية الوعرة بمنحدراتها وفجاجها و أوديتها، صعودا و نزولا و دخولا و خروجا... من قرية إلى قرية و من دشرة إلى دشرة... تلك هي الطريق التي اتخذها "اللاز" لما هرب مع رمضان عندما فجروا الثكنة ليلحقوا بزيدان و قدور و غيرهم ممن يبحثون عن القمم الشاهقة، المكان الذي يساعد الثوار على رؤية النازلين و الصاعدين إليهم، كما أنه الثغر الأقرب من الموت تحت تحليق الطائرات الحربية الناثرة قنابلها فوق رؤوسهم.

أما الأجسام المتطايرة فهي صورة من صور المواجهة بين الفرنسيين و الجزائريين؛ فبعد كل مواجهة ضحايا و ضحايا الثورة التحريرية المخلصين شهداء عند ربهم يُحتسبون.

هكذا حاولت رسومات الغلاف أن تختزل الصفحات و تستجمع الأحداث لتصنع منها هذه اللوحة وبهذه التشكيلة الفنية و بتلك الألوان القانية و على رأسها اللون الأسود الداكن الذي كتب به عنوان الرواية وهو لون يوحي بالحزن والألم والمرارة، هذا السواد الذي كان يطبع أرض الجزائر إبان فترة الاستعمار، و على تلك الأوضاع المزرية والعنف والقتل والتيه، كما أن هذا اللون يشير إلى حد بعيد لشخصية "اللاز" في هذه الرواية، وهذا من خلال استحضار ماضيه وتاريخه الأسود المظلم، ويترجم الحالة النفسية التي كان يعيشها في ظل واقعه الاجتماعي داخل وطن يلونه السواد تحت وطأة الاستعمار، لكن هذا اللون الأسود البارز على واجهة الغلاف توسط مساحة حمراء كبيرة وغاص في أعماقها ليدل على جريان الدماء التي سالت من الثوار من أجل تطهير الأرض من شرور الخونة. وقد يوحي أيضا باندماج " اللاز" والتحاقه بالثوار واستعداده للتضحية من أجل محو تاريخه الأسود.

بالتالي لم تكن صورة الغلاف صورة للاز و لكنها صورة لموضوع الرواية و هذا ما يقرأ في بساطتها لأنها لم تكن غامضة و لا مبهمة بعد قراءة المتن.

كما أن الرسام لم يأت بجديد و لكنه رسم القضية عامة و هي الثورة كما أنه لم يخرق توقع القارئ الميزة الفنية التي تمنح للنص شعرية و بالتالي كانت اللوحة بسيطة.

3- الإهداء:

يعتبر الإهداء عتبة ثانية للنص الروائي، ومن أهم مكونات النص الموازي، فهو نص مستقل في جغرافية الكتابة ولكنه مرتبط دلاليا بالنص، إضافة إلى أنه يختزل الرؤية الإبداعية من خلال المهدى إليه[22].

حمل إهداء رواية "اللاز" جميع أدبيات خطاب الإهداء، فقد أهدى الطاهر وطار روايته إلى جميع الشهداء، حيث جاء هذا الإهداء في ثلاثة كلمات تفصلها نقاط وهو على النحو الآتي:"إلى ذكرى.. جميع..الشهداء"[23].

وقد توفر على حرف الجر "إلى" الذي يفيد انتهاء الغاية إلى المهدى إليه، وهم "الشهداء" الذين يخاطبهم الطاهر وطار، إلى جانب الاقتضاب والإيجاز وإثبات اسم المهدى إليه.

ترجع مقصدية "الشهداء" في هذا الإهداء إلى اعتبارهم رمزا من رموز الثورة التحريرية، بحيث جمع وطار في إهدائه كل الشهداء دون استثناء، مع قصده بالإهداء أولئك الذين يتذكرون الشهداء مهما طال الأمد، فهم السند الذي يستند عليه كل فرد من أفراد الشعب الجزائري، وهم الذين ضحوا بدمائهم من أجل أن نعيش ونحيا في حرية وكرامة. ونلمس في هذا الإهداء الروح الثورية التي طبعت كتابات الطاهر وطار، فهو لا ينسى في تقديمه لهذه الرواية "جميع الشهداء" ومن يتذكرهم، فيطرح بوضوح على مستوى النص مواقف الشهداء الذين استشهدوا دفاعا عن وطنهم، وراحوا ضحايا النزاعات والصراعات السياسية، وهكذا جاءت رواية "اللاز" لتكشف عن بعض المواضيع المسكوت عنها في الكثير من جوانب ثورة التحرير الجزائرية.

أما عن تلك النقاط التي تفصل كلمات الإهداء، فإنها تدل على أن الكاتب أراد أن يضم إلى جانب الشهداء أناسا آخرين عبّر عنهم بتلك النقاط، ألا وهم أولئك الذين قُتلوا بسبب الخلافات السياسية، ولم تتكلم عنهم كتب التاريخ كما تكلمت عن الشهداء الذين استشهدوا من طرف العدو الفرنسي.

وتتجلى الروح الوطنية الثورية عند الطاهر وطار في هذا الإهداء في احترامه وتقديسه لشهداء الجزائر، لهذا نجده يقول:"سأتوسل للشهداء، أن يقبلوني ضمنهم، فما فعلت، إلا ما أملاه علي ضميري، حُبّا للجزائر"[24].

لقد استطاع الطاهر وطار من خلال عتبة الإهداء أن يدخل بنا إلى موضوع الرواية، ألا وهو أحداث ثورة التحرير الوطنية وما تبعها من تناقضات سياسية، فالشهداء هم الرمز الثوري الوحيد الذي يستطيع الإنسان من خلاله أن يتذكر ماضي شعبه العريق، لهذا نجده يقول:"ليس لنا من الماضي إلا المآسي.. وليس لنا من الحاضر إلا الانتظار.. وليس لنا من المستقبل إلا الموت.. نتآكل كالجراثيم، وليس غير.."[25]. إن صورة الماضي في نظر الطاهر وطار سوداوية لا تحمل إلا المآسي (الماضي/المآسي)، ويبقى الحاضر في انتظار من يزيل عنه الضبابية التي تلاحقه (الحاضر/الانتظار)، من أجل مواجهة المصير المستقبلي (المستقبل/الموت).

وخلاصة القول أن الطاهر وطار عكس لنا في عتبة الإهداء حقيقة لطالما همشتها كتب التاريخ، كما صرح بذلك عبد الله شريط قائلا:"..ومن المستطاع أن نضع نقابا على حقيقة الثورة الجزائرية، ولكن الحقيقة تمزق كل يوم شيئا من ذلك القناع لتسفر عن وجهها ليراها حتى العميان"[26].

4- التقديم:

مما لا شك فيه أن المقدمة في الرواية بمثابة عتبة تحمل المتلقي إلى فضاء النص، وتُصوّب أفق تلقيه بالإطلاع عليها وأخذها بعين الاعتبار، يحدد من خلالها المؤلف الكيفية التي يجب التعامل بها مع المؤلَّفَة وحماية المحتوى من التقدير الخاطئ[27].

كما تتنوع المقدمة الروائية بين "تقديم ذاتي وتقديم غيري، الأولى يكتبها أصحاب المؤلفات في حين يكتب الثانية أشخاص آخرون"[28].

وتجدر الإشارة إلى أن رواية "اللاز" حوت على استهلال أُطلق عليه الطاهر وطار (كلمة المؤلف)، مما يدل على أن هذا التقديم ذاتي، يبين فيه الأسباب التي جعلته يبدأ عمله الروائي بسنوات الثورة. وبرر ذلك قائلا:"هذه القصة بدأت التفكير فيها في شهر سبتمبر سنة 1958، بعد الإعلان عن التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة الجزائرية، وشرعت في كتابتها في شهر ماي من سنة 1965 بعد تراكم الخلافات والمشاكل داخل صفوف جبهة التحرير الوطني، وبعد الشروع في وضع أسس لإنجازات متعددة اقتصادية واجتماعية"[29].

وبعبارة أخرى يعتقد المؤلف أن في الثورة أشياء لم تتضح في أذهان الجزائريين بعد، وعدم وضوحها قد يضر بمسيرة الثورة بعد الاستقلال، ومن هنا جاءت أهمية هذا العمل الروائي في نظر مؤلفه، كما يقول في مقدمته: "لابد من استقرار للوضع، لابد من أن تُصفّى الأمور ذات يوم، أو كما يقول بطل القصة الرئيسي "ما يبقى في الوادي غير حجاره"، ذلك ما كان يطغى على فكري وأنا منكب على كتابة اللاز"[30].

نفى الكاتب بعد ذلك عن نفسه صفة المؤرخ، مبررا ذلك بالسمات الفنية والطريقة القصصية التي اتخذها في أحداث "اللاز" رغم احتوائها على بعض الأحداث التاريخية قائلا:"إنني لست مؤرخا، ولا يعني أبدا أنني أقدمت على ما يمت بصلة كبيرة إلى التاريخ، رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها.. إنني قاص وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة-بوسيلتي الخاصة- على حقبة من حقب ثورتنا"[31].

يظهر من خلال هذه الرؤية إيمان الكاتب الكبير بالثورة والعمل الثوري المسلح الذي قام به الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي، ويريد تحديد المنطلق من خلال معرفته للاتجاه الذي سارت فيه الثورة، إذ عالجت "اللاز" قضية من أهم القضايا الوطنية، تتمثل في الخلافات السياسية التي سبقت اندلاع الثورة و تخللتها في بعض جهات الوطن، والجدير بالذكر أن الخلافات بلغت درجة كبيرة من القوة والعنف، بحيث "لم تكد تتحد الحركة الوطنية الجزائرية إلا في سنوات الحرب التحريرية، وبعض هذه الخلافات اختفى أثناء الثورة بعدما تم القضاء عليه لظروف سياسية معينة، وبعضها ظل قائما بالرغم من هذه الظروف"[32]. وهذا ما جعل الطاهر وطار يشعر بالذنب والحسرة لما طرح هذه القضية في روايته حين قال:"وطيلة السنوات السبع (65-72) التي استغرقَتها كتابة هذه القصة المتقطعة من شهر لآخر، كان يطغى علي الشعور بالذنب، إن بلادي تسير إلى الأمام بخطى عملاقة، المدارس تنبت من الأرض نبتا، والمعاهد تتطاول في المدن والقرى وتتطاول، والمعامل تثقل بآلاتها أرضها شرقيها وغربيها وشمالها وجنوبها، والإنسان في كل ذلك يتطور وأنا مشدود إلى هذه القصة أتفرج عن الماضي، ولا أساهم في المعركة الحاضرة"[33].

يتضح لنا من خلال العبارة الأخيرة توجه الكاتب الإيديولوجي نتيجة انخراطه المباشر في الإنجازات التي تبنتها الدولة بعد الاستقلال وهي إنجازات النظام الاشتراكي السائد في الجزائر آنذاك.

وما يثير الانتباه أيضا في تقديم وطار هو استشرافه للأحداث التي ستشهدها الجزائر بعد الاستقلال من ثورة زراعية وصناعية، إذ وعد القراء برواية أخرى تعبر عن تلك الإنجازات المختلفة في جميع المجالات، وهو ما صوره بالفعل في الجزء الثاني من"اللاز" أي "العشق والموت في الزمن الحراشي". ومن هنا قال:"..واليوم، وبعد أن أنهيت هذا العمل الذي آمل أن يحظى برضى القراء، وبانتباه النقاد، يصبح وعدا علي، سأقتطع من عمري سنوات أخرى، ساعة فساعة، لأضع رسما جميلا لبلادي الثائرة .. بلاد التسيير الذاتي والثورة الزراعية، وتأميم جميع الثروات الطبيعية، والمسيطرة على جميع تجارتها الخارجية، والمتصنعة والمتثقفة والواقفة إلى جانب جميع الشعوب المكافحة في العالم وإلى جانب مريدي الحرية والسلام والعدل"[34].

نخلص من هذا أن المقدمة أو "كلمة المؤلف" ساهمت بشكل كبير في فتح بعض نوافذ النص للقارئ من أجل الدخول إليها، فكانت بمثابة الجسر الذي يوصلنا بعالم النص، وبمنزلة البوصلة التي يهتدي بواسطتها القارئ إلى القراءة الجيدة، وتجنبه شطط التأويل وسوء التقدير. وعليه فالروح الثورية ظاهرة في خطاب المقدمة، واعتماد وطار على هذه الطريقة في خطابه المقدماتي يرجع للخطة التي رسمها من العنوان إلى الخاتمة في كون أن كل عنصر من عناصر الرواية يعكس بعدا ثوريا معينا.

خاتمة:

بعد هده الرحلة العلمية في عتبات رواية "اللازّ و معرفة بعض طاقاتها الدلالية، وأبعادها الجمالية ، يمكن الوقوف على أبرز النتائج التي خلصت إليها هده الدراسة والتي من أهمها:

- لقد كانت صورة غلاف الرواية لقطة تشكيلية ماسحة لكل الثوار الأحرار في ميادين الوغى ولم تكن صورة للعنوان – اللاز- في حد ذاته لأنها صورة معبرة عن كل الجزائر في تلك الفترة الاستعمارية على أن "اللاز "واحد ممن دخلوا الميدان.

- اتسمت رواية " اللاز" بوجود خيط متصل بين عتباتها، والمقاطع السردية، بدءا من العنوان، ولوحة الغلاف، مرورا بالإهداء والتقديم، لذلك حظيت هذه العتبات بخصوصية نسقية ذات أبعاد فكرية مترابطة ، تدور في فلك البنية المركزية للنص الروائي المعبر عن الثورة التحريرية.

- تمثل العتبات النصية أنساقا فكرية منتجة لدلالات موازية لدلالات المتون، محققة بذلك مسارا تواصليا محفزا على الإقبال على قراءة العمل، والوقوف على العلاقات الرابطة بين

العتبات ومتونها، كونها تنطوي على حمولات ثقافة، وآفاق معرفية قادرة على التوالد الدلالي والجمالي.

- كانت الصورة رواية جديدة في حد ذاتها تحتاج لمن يفجر معانيها و يستلهم شعرية ألوانها و مختلف الإيحاءات التي تخفيها تلك التدرجات اللونية بين الظل و النور و التركيب و التبسيط ...
- نجحت عتبات هذه الرواية في تحقيق الوظيفة الاغرائية التي حققت فاعلية الإثارة والتشويق، بدليل أن الرواية طبعت عدة طبعات، مما يبن عمق تأثر المتلقي بالعتبات، وما أوحت به من طاقات دلالية، و أبعاد إيحائية.

الإحالات:

[1] - بلال (عبدالرزاق)، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2000،ص23. .

[2] - ينظر: بلعابد (عبدالحق)، عتبات" جيرار جنيت من النص إلى المناص"، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008، ص 45.

[3] - زرابيب (آسيا): تحليل الخطاب الروائي:رواية "اللاز" للطاهر وطار نموذجا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص237.

[4] - الجزار (محمد فكري): العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص19.

[5] - ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (دت)، ج7، ص672.

[6] - الأعرج (واسيني): تجربة الكتابة الواقعية، الطاهر وطار نموذجا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1989 ص49.

[7] - وطار (الطاهر): اللاز، دار موفم للنشر، الجزائر،2007، ص106.

[8] - بورايو (عبد الحميد): منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1994، ص248.

[9] - بويجرة (محمد بشير): الشخصية في الرواية الجزائرية1970 – 1983، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دت)، ، ص114

[10] - وطار (الطاهر): اللاز، ص106

[11] - المصدر نفسه، ص 106

[12] - المصدر نفسه ، ص200

[13] - بويجرة (محمد بشير): الشخصية في الرواية الجزائرية1970 – 1983، ص114

[14] - المرجع نفسه، ص115

[15] - المرجع نفسه ، ص116.

[16] - بورايو (عبد الحميد): منطق السرد، ص110

[17]- وطار (الطاهر): اللاز،، ص221.

[18]- المصدر نفسه ، ص09.

[19] - ينظر: الحجري (عبدالفتاح)، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة ، المغرب، دط، 1996، ص224-225.

[20] - فرشوخ (أحمد)، جمالية النص الروائي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص13.

[21]- كاصد (سلمان)، الموضوع والسرد مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي، د ط، 2002، ص181.

[22]- ينظر: أنس (أمين): جماليات العتبة، دار النشر المغربية، ط1، 2005، ص32.

[23]- وطار (الطاهر): اللاز، ص05.

[24]- وطار (الطاهر): أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، دار الحكمة، الجزائر، 2006، ص55.

[25]- وطار (الطاهر): اللاز، ص07-08.

[26]- شريط (عبد الله): الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1959، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995، ص316.

[27]- ينظر: أشهون (عبد الملك): خطاب المقدمات في الرواية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت،ع3، مارس 2005، ج33، ص92.

[28]- المرجع نفسه، ص105.

[29]- وطار (الطاهر): اللاز، ص06.

[30]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[31]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[32]- مصايف (محمد): الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص26.

[33]- وطار (الطاهر): اللاز، ص06.

[34]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (دت)، ج7.

2- أشهون (عبد الملك): خطاب المقدمات في الرواية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت،ع3، مارس 2005، ج33

3- الأعرج (واسيني): تجربة الكتابة الواقعية، الطاهر وطار نموذجا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط1، 1989.
4- أنس (أمين): جماليات العتبة، دار النشر المغربية، ط1، 2005.
5- بلال (عبدالرزاق)، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2000.
6- بلعابد (عبدالحق)، عتبات" جيرار جنيت من النص إلى المناص"، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008.
7- بورايو (عبد الحميد): منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
8- بويجرة (محمد بشير): الشخصية في الرواية الجزائرية1970 – 1983، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دت) .
9- الحجري (عبدالفتاح)، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة ، المغرب، دط، 1996.
10- الجزار (محمد فكري): العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
11- زرابيب (آسيا): تحليل الخطاب الروائي:رواية "اللاز" للطاهر وطار نموذجا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2006/2005.
12- شريط (عبد الله): الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1959، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995،
13- كاصد (سلمان)، الموضوع والسرد مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي، د ط.
14- مصايف (محمد): الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983
15- فرشوخ (أحمد)، جمالية النص الروائي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1996.

16- وطار (الطاهر): أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، دار الحكمة، الجزائر، 2006.

17- وطار (الطاهر): اللاز، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007.